Journal Of the Iraqia University (76-3) June (2026)

ISSN(Print): 1813-4521 OnLine ISSN:2663-7502
Journal Of the Iraqia University
available online at
https://iasj.rdd.edu.iq/journals/journal/view/247

الحجاج في الخطاب الشعري عند ابن قلاقس قصيدة مدح القاضي بن الحباب – أنموذجاً -

رفل رضا كريم محمد

الجامعة التقنية الوسطى / الكلية التقنية الإدارية

Argumentation in the Poetic Discourse of Ibn Qalaqis Al-Qadi bin Al-Hubab as a Case Study

Rafal Ridha Kareem Mohammed
Middle Technical University / Technical College of Management
rafal.ridh@mtu.edu.iq

الملخص:

يعّد الحجاج من الوسائل الخطابية التي تهدف إلى وصول الإقناع بالمتلقي والتأثير فيه، بوساطة القاء الحجج في السياق من قبل كاتب النص، بالاستناد على البراهين والأدلة والأساليب اللغوية المختلفة، ومن ثمّ يقوم المتلقي بكشف المعاني المخفية وراء الأفكار المضمّنة بالنص، وبذا فالحجاج لا يقوم بعرض الأفكار فقط، وإنما يوجه اللغة نحو الإقناع، وإثبات الحكم أو نفيه، ومن هنا يرتبط الحجاج ارتباطًا وثيقًا بالنص الأدبي. لذا، فالنص الأدبي هويته حجاجية تجتمع فيها أساليب البلاغة، والرمز، واللغة، لتوليد المعاني فضلاً عن إقناع المخاطب بأفكار الكاتب أو الشاعر، وبذا يغدو الحجاج أداةً فكرية وجمالية في النص الأدبي، تظهر رؤية المبدع وموقفه من قضايا الفكر والحياة والمجتمع، فضلا عن إظهار تفاعله مع المجتمع من جانب الثقافة والسلوك الإنساني. وعليه، أصبح الحجاج من أكثر الأساليب الفنية التي تحقق الإقناع في الخطاب الشعري ؛ لما فيه من حجج منطقية أو لغوية أو وجدانية، تدعم رؤية المتكلم. تكلم من جهة، وتحقق القبول والتفاعل عند المخاطب من جهة أخرى. وبناءً على ذلك، قُسم البحث على تمهيد ومبحث، درس التمهيد مفهوم الحجاج وعلاقته بالنص الشعري، ولا يفوتنا ان ننوه على تباين الآراء وتعدد وجهات النظر حول تحديد تعرفيًا ثابتًا ومحددًا لمصطلح الحجاج، إذ اعتمدت على تعريف واحد يحقق الرؤية الشاملة ضمن سياق البحث. أما المبحث، تضمن الأليات الحجاجية التي ظهرت في خطاب ابن قلاقس، إذ تعددت التقنيات الحجاجية وتنوعت ما بين الوصف، والقصر، والنفي، والاستعارة، والاستفهام، والتناص، والشرط، والقدوة، والتمثيل. فضلا عن الكتابة والتكرار، وقد رُتبت حسب تسلسلها في قصيدة ابن قلاقس. ومما لاشك فيه، إن هذه التقنيات تؤدي وظيفة مهمة في النص الشعري، تتمثل في تعزيز قدرة الخطاب الشعري على تحقيق الإقناع والتأثير في المتلقي، فضلا عن الجمع بين المنطق والفن، مما يسهم في إبراز جمالية الخطاب وحيويته. وختمت البحث بخاتمة بينت فيها النتائج التي توصلت إليها، ومن ثم وضحت المصادر والمراجع التي استعملتها في البحث. الكلمات المفتاحية: التعريف بالحجاج، اليات الحجاج، شعر ابن قلاقس

Abstract:

Argumentation is a rhetorical instrument aimed at achieving persuasion and influencing the recipient by presenting arguments within a context provided by the text's author. This process relies on evidence, proofs, and diverse linguistic techniques, through which the recipient uncovers the hidden meanings behind the ideas embedded in the text. Thus, argumentation does not merely display ideas; rather, it directs language toward persuasion and the affirmation or negation of a judgment. Consequently, argumentation is intrinsically linked to the literary text.Accordingly, the literary text possesses an argumentative identity that integrates rhetoric, symbolism, and language to generate meanings and persuade the addressee of the author's or poet's ideas. Argumentation thus becomes an intellectual and aesthetic tool within the literary text, manifesting the creator's vision and stance toward intellectual, social, and life issues, as well as reflecting their interaction with society in terms of culture and human behavior.As a result, argumentation has emerged as one of the most prominent artistic techniques for achieving persuasion in poetic discourse. It employs logical, linguistic, or emotional arguments that support the speaker's vision on one hand, while ensuring the addressee's acceptance and

interaction on the other.Building on this, the research is structured into a preface and a main section. The preface examines the concept of argumentation and its relationship to poetic texts. It is noteworthy that while opinions and viewpoints vary regarding a fixed and specific definition of the term "argumentation," this study adopts a single comprehensive definition that aligns with the research context.The main section addresses the argumentative mechanisms manifest in the discourse of Ibn Qalaqis. These techniques are diverse, encompassing description, restriction (Al-Qasr), negation, metaphor, interrogation, intertextuality, conditional structures, role modeling (Al-Qudwa), and representation (Al-Tamthil), alongside writing and repetition. These are organized according to their sequence in the poetry of Ibn Qalaqis.Undoubtedly, these techniques perform a vital function in the poetic text, enhancing the discourse's capacity to persuade and influence the recipient. By bridging logic and art, they highlight the aesthetic beauty and vitality of the discourse. The research concludes with a summary of the findings, followed by a list of primary sources and references utilized in the study.

Keywords: Definition of Argumentation, Argumentative Mechanisms, Poetry of Ibn Qalaqis.

التعريف بالحجاج وعلاقته بالنص الشعري:-

يعدّ الحجاج أسلوبًا فنيًا يوظفه الشاعر في خطابهً ؛ لإقناع المتلقي بصحة أفكاره تجاه موضوع ما ،و بذا فهو من ينظم الخطاب بصورة مؤثرة في الآخرين، بوساطة. إظهار الحجج اللغوية أو المنطقية أو الوجدانية، لدعم رؤية المتكلم، فضلا عن تحقيق القبول والتفاعل عند المخاطب. مما لاشكّ فيه، إنّ الجدل قد طال حول تحديد مفهوم مصطلح الحجاج في مختلف مجالات المعرفة، إذ تعددت مفاهيمه تبعًا للوظيفة التداولية التي يؤديها طرفا الخطاب (المرسل والمرسل إليه)، وهنا تكمن أهميته في الأبحاث النظرية والتطبيقية. وعليه، عّرفه صابر الحباشه بقوله: ((الطريقة عرض الحجج وتقديمها، فهو يستهدف التأثير في السامع فيكون بذلك الخطاب ناجحًا فعالًا، وهذا معيار أول لتحقيق السمة الحجاجية، غير أنه ليس معيارا كافيًا إذ يجب ألاّ تُهمل. طبيعة السامع المستهدف، فنجاح الخطاب يكمن في مدى مناسبته للسامع ومدى قدرة التقنيات الحجاجية المستخدمة على إقناعه)) (الحباشة، ٢٠٠٨، صفحة ٢١)، ويأتي هذا التعريف ضمن الإطار العام للبحث ؛ من أجل تقديم رؤية شاملة لمفهوم الحجاج من جهة، ووظيفة في النص الشعري من جهة أخرى.ومن هذا المنطلق، يستند الخطاب الشعري في الحجاج على تقنيات معينة، توظف على وفق استعمال المرسل لها، إذ يبني المتكلم حججه تبعاً لسياق خطابه، لتحقيق الإقناع عند المرسل إليه (المخاطب)، فضلا عن ذلك تعتمد هذه الحجج على أدلة توظف بما يتناسب مع الجمال والذوق، أو العقل والمنطق؛ لذلك تتعدد التقنيات الحجاجية وتتعدد ((الأساليب المستخدمة في الرسالة لإقناع المتلقي بمضمونها، فأساليب عرض المحتوى تؤثر على التعليم والإقناع، فهناك العديد من الاعتبارات التي تؤدي إلى اختيار أسلوب معين لتقديم النصب الإعلامي و استخدام نوع معين من الإستمالات بما يتوافق وطبيعة الموضوع وخصائص جمهور المتلقين)) (مصطفى، ٢٠٠٣، صفحة ٤٦)، وبذا يرتبط الحجاج بالخطاب ارتباطًا وثيقًا جداً، لكونه يمثل أساس الخطاب الإقناعي، أي ((إنّ المتكلم عندما تتلفظ بقول إنما يقدمه حجة لصالح نتيجة ممكنة، وهذا يبيّن إن المكون الحجاجي مكون أساسي وأنه هو الذي يحكم اشتغال الأقوال داخل الخطاب)) (العزاوي، ٢٠٠٦ ، صفحة ٤٣) لذا يؤدي الحجاج وظيفة دلالية و بنائيه في النص الأدبي عامة، والشعري خاصة، بوساطة تشكيل الأفكار وتوليد المعاني، فضلاً عن الوظيفة الإقناعية والتواصلية التي تسهم في تماسك الخطاب الشعري، ناهيك عن الوظيفة الجمالية التي تحوّل الحجج من خطاب منطقي عقلي إلى خطاب فني، يجمع بين الأفكار والعواطف في التجربة الشعرية عبر الرمز والصورة والإيقاع.وعليه، ظهر خطاب الشاعر(ابن قلاقس•) مكثفًا بالمعاني والدلالات، إذ تعددت التقنيات الحجاجية في شعره، فضلاً عن تعدد أنماط الحجج وتمييزها بعضها من بعض، بوساطة الوسائل الفنية والإقناعية التي ساعدته بتطبيق الحجاج على نصوصه كما سنرى بالمبحث الآتي. وعليه، ظهر خطاب الشاعر(ابن قلاقس) مكثفًا بالمعاني والدلالات، إذ تعددت التقنيات الحجاجية في شعره، فضلاً عن تعدد أنماط الحجج وتمييزها بعضها من بعض، بوساطة الوسائل الفنية والإقناعية التي ساعدته بتطبيق الحجاج على نصومه كما سنرى بالمبحث الآتي.

<u>الحجاج بالوصف:</u>

تؤدي الصفات وظيفة مهمة في العملية الحجاجية بوساطة وصف الأشياء أو الأشخاص أو المواقف كي تقدم دليلاً للمخاطب مما يقنعه بالأفكار والبراهين الموجهة إليه، لذا((فالمقصد الحجاجي من إطلاق الصفة على الموصوف هو تحديد نوع الموقف الذي ينبغي ان يحكم به عليه، بالإضافة إلى تصنيفه ووضعه في خانة ما مع سائر العناصر التي تشاركه تلك الصفة، والكشف عن موقفنا تجاه هذا الموصوف)) (صولة، ٢٠١١ ، صفحة ٣٢)، وتجلّى الحجاج بالوصف في خطاب ابن قلاقس بقوله في مدح القاضي الأشرف ابن الحباب:

(الطويل)

طَلَعت ربيعًا من ربيع واربُعِ

وطالعت أهْلًا من مَصيف وَمُربَع

منازلُ أستسقى السماءَ لأهلِها

وإن كنَّ يستسقينَ لأرضِ أدمعي (ديوان ابن قلاقس، ١٩٨٨ ، الصفحات ٤٦١ – ٤٦٢)

يبدأ الشاعر حجاجه بوصف الزمان والمكان، إذ يربطه بقدوم الربيع من جهة وبمجيء الممدوح من جهة أخرى؛ ليقدم حجة في خطابه بوساطة قيمة المكان بوجود الممدوح فيه)، وأثره في ذاته (حّبه للديار بوجود أهلها)، مما يظهر حجته للمخاطب وهي الحنين والعاطفة، لأنَّ إظهار أثر الخراب (حجة على فقدان الأحبة)، لذا فالشاعر لا يصرّح بحب ديار الممدوح بصورة مباشرة ؛ بل ينتقل إلى الوصف ما بين (مجيء الربيع والمطر) (وبين قدوم الممدوح مع الهدايا) ؛الإحتياج ليدللّ على الإحساس بالثراء والتنوع بين ظهور الربيع ومجيء الممدوح، مما يعطي انطباعًا حسيًا نحو التجدد والارتياح , وبذا يحاول الشاعر إقناع المخاطب بشدّة القحط وطلب العون والمساعدة، بوساطة الترحيب باللقاء، وإظهار المحبة، فضلاً عن استدعاء صورة المضيف والاهل من جانب , وربطها بالكرم والألفة من جانب آخر؛ لأنّ العاطفية في الخطاب تعزز من تقنية الحجاج الوصفي، لتأكيد الرغبة والإحتياج للمخاطب، أي إن وصف (الممدوح وأهله) حجة لإبراز قيمة اللقاء والحنين، إذ صّور مجيئهم وحضورهم يدل على استمرارية الحياة لدى الشاعر ومن ثمّ يبلغ الحجاج ذروته بوساطة الوصف المجازي بإضفاء الروح على الجمادات (المنازل تستسقي)، إذ جعل (المنازل) كائن حي ؛ لتقديم حجة وجدانية بطلب الاستغاثة والعون من شدّة القحط، فضلا عن تكثيف الاحساس بالعاطفة نحو الشفقة، بوصف الشاعر (دموعه) صارت بديلًا عن المطر، إذ جعلها حجة لعمق الحب والوفاء الذي يفوق المطر، لذلك اتخذ الشاعر الوصف آلية حجاجية تعمل بالتدريج من الطبيعة والإنسان إلى الديار والذات ؛ لإثبات الأدلة والبراهين للمخاطب.

الحجاج بالقصر :

هو أسلوبًا حجاجيًا يوظفه الشاعر في النص بوساطة النفي والاستثناء، لتأكيد المعنى وتثبيته عند المخاطب، وبذا فهو ((عامل يوجه العقول نحو وجهة واحدة نحو الانخفاض)) (الشهري، ٢٠٠٤، صفحة ٥٢٠)، أي توجيه ذهن المخاطب نحو الأفكار المقصودة، ومن ثمّ إلغاء احتمالات التأويل أو الاعتراض وقد ظهر الحجاج بالقصر يقول الشاعر :

(الطويل)

على أن ما ضمت هواد جُهم سوى

فؤادي لاضمّت سوىْ عَوجَ أضلُعي

وما خدَعوني أ باِللوى غيْرَ أَنهم

لَوؤا نحو المطامع أخدَعي (ديوان ابن قلاقس، ١٩٨٨ ، صفحة ٤٦٢)

وظّف الشاعر القصر (بالنفي والاستثناء) بقوله : (ما ضمت هوادجهم سوى فؤادي)، إذ خصّص فعل (الضم) بفؤاده مع نفيها عن غيره، أي إن الهوادج لم تعمل شيئا سوى فؤاده، وبذا فالقصر يؤكد الحجة (الشعورية / العاطفية) في الخطاب الشعري، لإظهار حالة الحزن المرتبطة بالفقد والحنين، ومن ثمّ كرر أسلوب القصر (بالنفي والاستثناء) مرة ثانية بقوله : (لاضمت سوى عوج أضلعي)، إذ يبرز أثر الفقدان على الجسد بوصف أضلاعه المحنية من شدة الحزن والألم، سببت له التواءٌ داخل جسده، أي إنَّ الحب لم يلامس بدنه بل روحه ، وأراد به الإنكسار الداخلي، مما يسهم في توكيد الحجة وإثبات المعنى، فضلا عن حصر الدلالة في سياق واحد، وفي هذا الإطار يأتي القصر (بالنفي والاستثناء) في الشطر الثاني في قوله : (وما خد عوني باللوى غير أنهم هم لووا نحو المطامع أخدعي)، إذ استعمل (غير إنّ) كوسيلة (تقييد / استدراك). لقصر سبب الخداع على المطامع فقط، وبذا يثبّت الحجة الحقيقية للقصر بأن نيّة الطمع هي التي اخرجتهم الصدق وليس (اللوى)، الذي خدع المتكلم إذن الحجاج هنا يؤدي وظيفة إقناعية للمخاطب بتقديم الحجة – بأن حبّه للممدوح ليست ماديا، بل نقيًا روحيًا يستقر بالقلب، ومن ثم إثبات حقيقة الخداع من قبل الآخرين بأن حبهم فيه طمع، بتجديد الإتهام وتوجيه المكر نحوهم، فضلًا عن إثبات براءته من هذا الطمع والخداع. (عبدالرحمن، ١٩٩٨، صفحة ٢٧٧)

الحجاج بالنفي :

يّعد النفي من الوسائل التعبيرية التي لها دور حجاجي في بناء الخطاب، إذ يقوم على نفي الأفكار بطريقة منطقية وبذا يقنع المخاطب بوساطة الرفض (إذا كان القول دليلاً على مدلول معين، فإن نقيض هذا القول دليلا على نقيض مدلوله))، أي ((إذا كان (أ) ينتمي إلى الفئة الحجاجية بوساطة (ن) فإن (–أ) ينتمي إلى الفئة الحجاجية المحددة بوساطة (لا – ن) (العزاوي، ٢٠٠٦ ، صفحة ٥٨) ، ومنه قول الشاعر:

دعاهُ غرامي للوصالِ فلمْ يُجب

نداءَ مُشوقٍ قد أجاب وما دَعي (ديوان ابن قلاقس، ١٩٨٨ ، صفحة ٤٦٢)

النص يحمل مفارقة بين نداء الشاعر للشوق والغرام الصادق إلى الوصال , وبين إعراض المحبوب وعدم المجيء إذ يبدأ الشاعر بنفي موقف الاشتياق والحب، ففي الحجة (أ) إنّ الغرام يأتي من الدعوة للوصال، أي الرغبة في اللقاء، لكن نفي الحجة (–أ) بـ (لم يجب)، وتأكيدها علي إن الاشتياق ينبع من تلبية الدعوة للوصال ومن ثم تأتي الحجة (ب) وتؤكد بأن المشتاق يستجيب للدعوة ويلبيها ؛ لكونها قيمة ثابتة عند الإنسان، أما الحجة القوية (ج) تقدم إنّ الاشتياق يؤدي إلى الوصال، وبذا يظهر الشاعر التوتر العاطفي والانتظار، لكن النتيجة الأقوى (ن) تؤكد الاستجابة العاطفية والنتيجة غير المتوقعة وهي عدم المجيء، وعدم تلبية الدعوة لا تدل على الغرام. إذن، النفي هنا يؤدي وظيفة حجاجية واضحة، إذ الشاعر لم يكتف بوصف عدم المجيء، وإنما يحتّج بها لإثبات صدقه في الحب، لكن المحبوب قاسٍ و جافٍ، وبذا فهو يقدم دليلاً واضحاً ضد المحبوب، يتمثل بعدم الإجابة، أي يتحول النفي إلى برهان على الخذلان والظلم، وهكذا ينتج الشاعر خطابًا يستند على الحجاج في التقابل بين (الصدق / الايجاب) و (الجفاء / النفي)، مما يعمق الأثر النفسي في المتلقي.

الحجاج بالاستعارة :

انمازت الاستعارة بمكانة أدبية بارزة في مجال تطور الدراسات البلاغية بين القديم والحديث، لقوة أدائها في صياغة الخطاب الأدبي وبنية انسجته، فضلًا عن تحقيق المقصد الجمالي وصولاً إلى المقصد الإقناعي في النظرية الحجاجية و عليه، فإن النظرية الحجاجية تمثل آلية مهمة تستند عليها التداولية في تحليل الخطاب، وبذا فالحجاج يمتلك القدرة على التأثير في المخاطب واقناعه بوساطة البراهين والأدلة التي يطرقها في السياق، لذا فالاستعارة تمثل دليلاً يحقق غاية المتكلم ومقصده الحجاجي بأسلوب جدلي، لأنّ ؛ ((أي تصور للاستعارة لا يلقى الضوء على اهميتها فى الحجاج لا يمكن أن يحظى بقبولنا إلاّ أننا نعتقد ان دور الاستعارة سيتضح أكثر بربطه بنظرية التناسب الحجاجي)) (الولي، ٢٠٠٥، صفحة ٤٥٩)؛ لكي تكتسب الاستعارة قوتها الحجاجية بتخليها عن وظيفتها التزينية، لتؤدي دورًا دلاليا في بناء الخطاب وتعميق الحجة، وقد ظهرت الاستعارة في خطاب الشاعر بقوله: (الطويل)

تأبّى ذراع الليث أن يعْتلي بهِ لنا ذَنَبُ السَرْحَانِ مقدار اصبع

فلما ارتمت كفُّ الصَديعِ بأنجمٍ قواريرُها قد أُوذِنَتْ بالتَصدُّعِ

(ديوان ابن قلاقس، ١٩٨٨ ، صفحة ٤٦٢)

استعار الشاعر(ذراع الليث) وهي استعارة تصريحية ليدلّ بها عن القوة والشجاعة التي يمتاز الممدوح بها، إذ شبُّه (ذراع) الممدوح بالقوة الجبارة (للأسد)، وبذا يظهر الشاعر في خطابه كبرياء الممدوح في ساحة القتال ويرفض الضعف والاستسلام، لذا اسند الشاعر خطابه الحجاجي (بقوة الأسد) واقنع المتلقي في الرفض والامتناع عن الاستسلام التام في المعركة، ومن ثّم استعار (ذنب السرحان مقدار إصبع) عن الخطأ والذنب الصغير جدًا، إذ شبّه مقدار (الذنب) بالإصبع الصغير وهنا يقدم الحجة في خطابه للمتلقي، بأن الخطأ البسيط في المعركة يؤدي إلى ضرر كبير، وبذا فالخطاب هنا يثير الإحساس بالقوة والعزيمة ؛ ليخفض ويقلّل من جرم التفريط، فضلًا من الاستعارة المكنية بقوله : (كف الصديع)، ويراد بها يد الممدوح التي تعمل السيف في المعركة وتأبى الخضوع من أجل البقاء والعيش. وبذا، فخطاب الاستعارة هنا قول ساحة القتال إلى مسألة حيوية من أجل استمرارية الحياة وعدم الموت؛ ناهيك عن دمج الكناية مع الاستعارة في قوله : مع (قواريرها قد اذنت بالتصدع)، إذ أشار بـ (قوارير) إلى أصابع اليد، ومن ثم شبّهها بالإنكسار بقوله: (أذنت بالتصدع) ؛ ليدلّل في خطابه عن هشاشة الموقف وحالة الانكسار والضعف للطرف المنكسر (المنهزم) بعد القتال .لذا قدّم الشاعر الحجة ليقنع المخاطب في خطابه على الضرر الناجم بعد المعركة، وعليه، وظّف الشاعر الاستعارات كحجج بلاغية تعزز من خطابه ؛ لإقناع القارئ بالأفكار والمعاني المشفرة في النص.

الحجاج بالاستفهام :

يقوم الحجاج بالاستفهام على توظيف صيغة السؤال بالخطاب الأدبي، لإقناع المخاطب بفكرة ما أو تأكيد موقف معين وبذا فهو ((استفهام غير مباشر، يعتمد على توظيف فعل يتضمن معنى السؤال أو الاستعلام ويكشف عن جهل السائل)) (الصديق، ٢٠٠٠، صفحة ٣٥٢)، بوساطة أغراض مجازية تؤدي دورًا حجاجيًا لا استفهاميا في النص , قول الشاعر :

(الطويل)

أيُلْحد في فضلي أمرؤ لو أمتُّهُ

لأويس بالإلحاد مرجوّ مَرْجِع (ديوان ابن قلاقس، ١٩٨٨ ، صفحة ٤٦٢)

وظّف الشاعر أسلوب الاستفهام كتقنية بلاغية تؤدي دورًا حجاجيٍا، بوساطة دحض التهم الموجهة إليه بالإلحاد، وتأكيد براءته وطهره للمخاطب، لذا فالاستفهام لا يطلب جواباً، بل هو دفاعيًا وظيفته استنكار الشاعر ودهشته للإتهام الموجه إليه من قبل المخاطب، إذ لا يتناسب مع انتمائه الصادق ومكانته العالية لذا جاءت صيغة السؤال كأداة حجاجية (عقلية وعاطفية) في وقت واحد ؛ لتحدث أثرًا نفسيًا في المخاطب. اذن، الاستفهام الحجاجي هنا وسيلة لإقناع المخاطب بضرورة التوازن بين (صدق الشاعر ومبدئه) و (زيف الاتهام) مما يجعل التناقض حجة تنفي الشك الموجه إليه .

الحجاج بالتناص:

يعّد حجاج التناص وسيلة برهانية تبنى على أساس استدعاء نص سابق داخل الخطاب الجديد، لإسناد فكرة ما من أجل تقوية الحجة وإيصالها للمخاطب بأسلوب عميق، وبذا فهو : ((ترحال للنصوص وتداخل نصي ؛ ففي فضاء نص معين تتقاطع وتتنافى ملفوظات عديدة مقتطعة من نصوص أخرى)) (كريستيفي، ١٩٩٧ ، صفحة ٢١) أي يؤدي دورًا إقناعيا يسهم في إسناد الخطاب بالحجج، ولا يكون وصفاً للعلاقة بين النص الحاضر والنص السابق ، ومنه قول الشاعر:

(الطويل)

إليك قطعتُ البحرَ أطوي سجلَّهُ

فيا بحرُ أسجل لي بحظي وأقْطعِ (ديوان ابن قلاقس، ١٩٨٨ ، صفحة ٤٦٣)

وظّف الشاعر التناص بقوله : (أطوي سجله) مع قوله تعالى : ((اليوم نطوي السماء كطي السجل للكتب))، ومن ثم تناص مع الموروث الأدبي القديم في الشعر، بتصوير السفر في (البر والبحر)، وإن هذا الربط ليس اعتباطيا بل فعلًا مقصودًا أراد الشاعر توضيحه ؛ ليقدّم برهانًا في خطابه ليثبت أن الرحلة هي تحول وجودي يفرضه القدر كي يظهر قانون رحلته بوساطة البر هو فترة مضت وطويت صفحاتها، والبحر فترة جديدة يرجى الحظ منها، وبذا فهو يقدم حجة قوية لخطابه ؛ لأنّ السفر فعل مصيري اشار به إلى انتهاء مرحلة من حياته وهي الرحلة، إذ شبّه انتهاء هذه المرحلة كما يطوي صفحات الكتاب، وهنا يمنح خطابه قداسة وهيبة لأن جعل سفره كأنه قدرًا محتوماً، فضلاً عن ذلك يحيل الشاعر خطابه على الموروث الشعري بوساطة ذكر شعر الرحلات، لتقديم صحية المخاطرة بالمصير أثناء الرحلة، لكونها تنقله من حال إلى حال، وبذا حشد الشاعر في خطابه الحجج الإقناعية بين النص القرآني والموروث الأدبي، لبناء حجة تعزز خطابه بوساطة السياق .لذا، فالشاعر يوجه خطابه للمتلقي أنه قطع مسافة طويلة إليه، للإشارة إلى حدث واسع وعميق، إذ يرجو من المخاطب أن يختار له قدراً نهائيًا يعلو حظه، والقدر هنا أراديه القرار المحسوم الذي يتخذه المخاطب وهذا القرار مرتبط بحظه، ومن ثم تناص مع القرآن والموروث لتعزيز خطابه بالحجج الإقناعية التي تؤثر في المخاطب.

الحجاج بالشرط :

يوظّف الشرط حجاجيًا في الخطاب الأدبي لإقناع المخاطب بالنتيجة المنطقية عند تحقق الشرط، بوساطة علاقة سببية تعتمد ((على التلازم والإقتضاء، فإنّ أهم الروابط القادرة على إظهارها هي أدوات الشرط بما توفره من الربط والتلازم بين طرفي الجملة الشرطية، إذ تصبح جملة الشرط هي الحجة، وجملة الجواب هي النتيجة، وكلاهما يقتضي الأخرى اقتضاءً حتميًا فجملة الشرط تستوجب ضرورة جملة الجواب، وهي في الآن نفسه مسبب لهذا الجواب لا أي انه سبب لتلك النتيجة وهي جواب الشرط)) (فريق البحث في البلاغة والحجاج، ١٩٩٨، صفحة ٣٧٣) اي يبنى حجاج الشرط على أداء الشرط وجملة الشرط وجواب الشرط، نحو قول الشاعر :

)الطويل(

ولولاك لم أبرح قصيًّا ولم أجد

قصيًّا فأدعو فضلهُ بمُجَمَّعِ (ديوان ابن قلاقس، ١٩٨٨ ، صفحة ٤٦٣)

وظّف الشاعر الشرط بـ (لولا) كوسيلة حجاجية لإظهارأثر المخاطب (الممدوح) في حياته، إذ أقام الشاعر علاقة حجاجية سببية وهي ان وجود المخاطب سببًا في علو مكانته وقدره بين الناس، وإن بغيابه عنه سوف ينساه الناس ولا يقدرون هذه المكانة، وبذا فالحجاج يبرّز فضل المخاطب على الشاعر هو شرط وجودي ينقله من العزلة (القصي) إلى المجد والعلو (بمجمع).

الحجاج بالقدوة :

هو توظيف شخصية مرموقة يعتمد عليها فى إظهار المعنى داخل الخطاب، بوساطة الاستدلال بطولها أو سلوكها، بحيث يكون ((كقدوة يحتذى بها، غير أننا لا نقتدي سوى بمن أهل لذلك، أي هؤلاء الذين نعجب بهم والذين يتوفرون على سلطة أو حيث اجتماعي يعود إلى كفاءتهم أو وظائفهم أو إلى وصفهم الاجتماعي)) (بنو هاشم، ٢٠١٤، صفحة ٨٦)؛ الإقناع المخاطب بالفكرة الصائبة والسلوك الحسن بوساطة آخذ شكل المثال معيارا للإتباع، ومنه قول الشاعر :

)الطويل(

نطقت بإعراب المقاديرِ مُفْصِحًا

فيا سيبويهِ اخفض بلفظِكَ وارفعِ (ديوان ابن قلاقس، ١٩٨٨ ، صفحة ٤٦٣)

قدم الشاعر (سيبويه) بوصفه حجة يقتدى بها، إذ إنّ الاستشهاد بسيادة (سيبويه) وعلمه في النحو، ومن ثم ربطها بالمخاطب (الممدوح) إنما غايته تحقيق التفوق والتأثر بالسيف، فضلاً على إضفاء المصداقية للمخاطب بأنه يقتدي بالمتميزين ويتعلم العلوم والمعرفة منهم، وبذا يدعو الشاعر إلى إقناع القارىء بإدراك القيمة المعرفية بوساطة الاقتداء بالخبراء السابقين والتعلم منهم، ناهيك عن تعزيز مصداقية المخاطب بإظهار تفوقه وتأثره بالعلماء الكبار، اذا استند الشاعر على القدوة (سيبويه) بوصفها أساس للتقنية الحجاجية انطلاقا من أحداث سابقة وتجارب معاشة واقعيًا .

الحجاج بالتمثيل :

يقوم حجاج التمثيل بإقناع المخاطب بوساطة التشبيه الذي يقدم لوصف شيئاً يشبه الشيء المراد اثباته، إذ وصفه عبد القاهر الجرجاني بقوله :((أن (التمثيل) إذا جاء في أعقاب المعاني، أو برزت هي باختصار في معرضه، ونُقلت عن صورها الأصلية إلى صورته، كساها أبُهة وكسبها منقبة. ... وإن كان حجاجًا، كان برهانه انور، وسلطانه أقصر، وبيانه أبهر)) (الجرجاني، ١٩٩١ ، صفحة ١١٥)، مما يضفي على الخطاب معنىً منطقيا من جهة، وبعد اجماليًا من جهة أخرى، ومنه قول الشاعر :

(الطويل)

وظنّ كأنَ السمع والعينَ شاهَدَا

ومن أجل هذا قيل ذا ظنُّ أَلْمعي (ديوان ابن قلاقس، ١٩٨٨ ، صفحة ٤٦٣)

قدم الشاعر مثالاً تصويريا بوساطة حواسه، لتكون شاهدة على موقف ما، إذ يشبه الظن أي (شعور الشاعر وظنّه) بالشهادة المبصرة للسمع والعين أي (جعل حواسه شاهدة على الموقف) ؛ إظهار أسباب الحكم بالقول، أي (العلاقة بين الظن وصدق حواس الشاعر كلاهما قوية وموثوقة)، وبذا اتخذ الشاعر حجاج التمثيل كوسيلة بلاغية لإقناع. المخاطب بالصدق أو الظن الذي عبر عنه، لذا وظيفة الحجاج هنا هي توضيح المعنى لدى القارئ و بإدراك فكرة الشاعر بين اليقين والظّن القوي، فضلا عن إقناع عاطفة المخاطب وعقله بمدى قوة اليقين والظّن عند الشاعر ؛ لتسهيل الادراك والفهم نحو تحويل الفكرة المجردة إلى صورة ملموسة بالواقع .

الحجاج بالكناية :

تعدّ الكناية من الوسائل المهمة التي تسهم في بناء النص الأدبي، لما لها من ألفاظ إيحائية وتلميحية تنزاح عن المألوف، ومن ثمّ تخرق قوانين اللغة ؛ لتحقيق الغاية من عملية التواصل بين المرسل والمرسل إليه، بوساطة تحويل المعنى إلى خطاب فعّال يحمل دلالة مقصودة إلى المخاطب للتأثير فيه، وبذا فهي ((ان يريد الشاعر دلالة معنى من المعاني فلا يأتي باللفظ على ذلك المعنى بلفظ يدل على معنى هو ردفه وتابع له، فإذا دلّ على التابع آيات عن المتبوع)) (ابن قدامة، ١٩٦٣ ، صفحة ١٨٧)؛ لذا فهي تمتلك قيمة حجاجية بما تحمله من أدلة وبراهين يفرضها السياق للاستدلال عن المعنى المؤول دون التصريح به مباشرة، نحو قول الشاعر: (الطويل)

تنزهت في دنيهِ عن دَنيَّةٍ

وشمرتُ في دُراعه عن مُدَرّعِ (ديوان ابن قلاقس، ١٩٨٨ ، صفحة ٤٦٣)

كنّى الشاعر بقوله : (شمرت في دراعه) عن القوة والشجاعة بوساطة المواجهة والتحدي والاستعداد للأمور بقوة وعزم، التي – الاستعداد التام في المعركة، ومن ثمّ كنى بقوله : (تنزهت في دنيه على دنية) على التفوق والتميّز بوساطة بعد النفس عن السوء والارتقاء بها عن الذل والدناءة، أي إن الشاعر يبرز نفسه للمخاطب بأنه أعلى منزلة وقدرة، وبذا وظّف الشاعر الكناية كتقنية حجاجية تحمل دلالة برهانية بوساطة الصور البلاغية التي تهدف إلى إقناع القارئ بقوة المخاطب وشجاعته .

الحجاج بالتكرار :

يعد التكرار من أهم التقنيات الحجاجية التي يوظفها الشاعر في خطابه الشعري، للتعبير عن المعاني بقدرة عالية، فضلا عن التأكيد على صحة الأفكار المقصودة في النص وبذا تكمن قيمته الحجاجية في ((التأثير في المتلقي لتوصله إلى الإقناع بالقضية المطروحة. ...أي إن وظيفة التكرار تكمن فى التأكيد على صحة رأي ما. .. فالتكرار وسيلة بلاغية يقصد بها تقوية الحجة عن طريق تأكيدها)) (صولة، ٢٠١١ ، صفحة ٣٥)، وتجلّى التكرار في خطاب ابن قلاقس بقوله :

(الطويل)

لسانيَ لا يَعْيا وغيرُك سَمْعُه

لغفلتِهِ يُعييِ اللسان ولايَعيِ (ديوان ابن قلاقس، ١٩٨٨ ، صفحة ٤٦٣)

وظّف الشاعر نوعين من التكرار في النص، أولهما : التكرار اللفظي بين (يعي ولا يعي)، إذ أراد منه إظهار التناقض بين (الوعي واللاوعي)، وبذا فالشاعر يتكلم دون وعي، لكن المخاطب يدرك المعنى المقصود رغم غفلته، لذا وظيفة الحجاج هنا هي الإقناع بأن الوعي لا يمثل قاعده أساس للإدراك؛ من أجل إبراز المفارقة بين المتكلم والمخاطب، أي إن هذا التناقض الظاهري يحقق الهدف الحجاجي ؛ لإثبات رؤية المتكلم وفكرته بأنّ الكلمات قد تخرج دون قصد(غفلة عند النطق)، لكنها تصل بمعنى عميق للمخاطب (إدراك ووعي).

الخاتمة

بعد انتهاء رحلة البحث تبين إنّ وجود الحجاج وتطوره مرهون بوجود الإنسان وتطور خطابه، لكونه أداة تأثيرية يزاولها المتكلم للتعبير على حقائق موضوعية مستقرة في العالم الخارجي، وبذا وجوده مرتبط بوجود اللغة ؛ كي يوظف في مجالات متعددة، وعليه توصلت إلى النتائج بالآتي:

– يتضح إن حجاج الوصف يقوم على بناء موقف إقناعي لا يقتصر على نقل المشاهد الواقعية أو الصور الجمالية ؛ بل يوجع المخاطب نحو تأييد أفكار المبدع وإعتماد رؤيته .

–منح أسلوب القصر قوة للمتكلم في إثبات رأيه وأفكاره ونقض أراء الآخرين وأفكارهم، بوساطة حصر المعنى في زواية محددة، مما أسهم في توجيه المخاطب نحو الفكرة المقصودة .

–جاء النفي كوسيلة حجاجية لتعزيز الخطاب بالإقناع، بوساطة رفض موقف المتكلم وإبطال فكرته ؛ من أجل ترسيخ إدعاء مخالف، بإظهار يقين الشاعر في حجته، فضلا عن تأكيدها بصدق رأيه .

–ظهرت الاستعارة في خطاب الشاعر كحجة مبيّنة للواقع، وقد وظّف الشاعر الاستعارة المكنية بدلاً التصريحية ؛ للتأكيد على إن الخطاب ناتج من الخيال والمشاعر وليس من العقل والمنطق، مما جعل الخطاب يكتسب بعدًا تخيليًا ودلاليًا في آنٍ واحد لتعميق الحجة وتقوية أثرها الاقناعي في النص .

–بيّن حجاج الاستفهام قدرة اللغة بالانزياح عن المعنى الحقيقي للتعبير عن المعنى المجازي من أجل تثبيت فكرة ما، فضلا عن تحقيق الإقناع عند المتلقي .

––برّز حجاج التناص وعي الشاعر بثقافة النصوص، إذ جاء خطابه الشعري متكاملاً ما بين الأصالة والتجديد .

–ربط حجاج الشرط بين السبب والنتيجة، مما أسلم في بناء خطاب إقناعي يستند على العقل في ترسيخ الحجة وتقوية أثرها في المتلقي .

–اعتمد حجاج القدرة على شخصية (سيبويه) كنموذج يقتدى به في دعم الأفكار المقصودة ؛ لإقناع المتلقي بوجهاته العلمية من جهة ولتكون الاستجابة اكثر عمقًا وتأثيرًا من جهة اخرى مما اعطى الخطاب مصداقية عالية .

–استند حجاج التمثيل على الاستدلال بالمثال لإثبات صحة الفكرة المقربة بين المشبه والمشبه به، مما منح الحجة قبولاً قوياً لدى المخاطب بوساطة ربط الخطاب بين المجرد والمحسوس ؛ لإيصال الإقناع بصورة مؤثرة في المتلقي.

-جمعت الكناية بين جمال البلاغة وفاعلية الإقناع في خطاب الشاعر، إذ جسدت الحجاج بوساطة التعبير الضمني، في تقوية الفكرة وايصالها إلى المخاطب بإقناع غير مباشر , عبرة إثارة التفكير لديه بصورة مؤثره .

-عمد حجاج التكرار على تأكيد المعنى وتثبيته في ذهن المخاطب، بوساطة تكرار الفكرة وإعادة تأكيدها؛ لتقوية أثرها الإقناعي في الخطاب من جهة، وشدّ انتباه المخاطب إلى جوهر الرسالة من جهة أخرى.

المراجع

أبو العباس شمس الدين أحمد بن محمد بن أبي بكر ابن خلكان. (١٩٧٨). وفيات الأعيان و أنباء أبناء الزمان. (تح: احسان عباس، المحرر) بيروت : دار صادر.

أبو بكر العزاوي. (٢٠٠٦). اللغة والحجاج. الدار البيضاء – المغرب: العمدة في الطبع .

أبو بكر عبد القاهر بن عبد الرحمن الجرجاني. (١٩٩١). اسرار البلاغة. (تحقيق : أبو فهر محمود محمد شاكر،، المحرر) جدة – المملكة العربية السعودية: دار المدني.

الحسين بنو هاشم. (٢٠١٤). نظرية الحجاج عند شاييم بيرلمان. بنغازي–ليبيا: دار الكتاب الجديد.

الرومي ياقوت الحموي. (١٩٩٣). معجم الأدباء (إرشاد الأريب إلى معرفة الأديب). (تح : احسان عباس، المحرر) بيروت – لبنان: دار الغرب الإسلامي.

جوليا كريستيفي. (١٩٩٧). علم النص (المجلد الطبعة الثانية). (ترجمة: فريد الزاهي، المحرر) الدار البيضاء – المغرب: دار توبقال للنشر.

حسين الصديق. (٢٠٠٠). المناظرة في الأدب العربي الإسلامي لونجيمان، القاهرة. القاهرة: الشركة المصرية العالمية للنشر – لونجيمان، القاهرة.

ديوان ابن قلاقس. (١٩٨٨). ٤٦١ \ ٤٦٢. (تح : سهام الفريح، المحرر) الكويت: مكتبة المعلا.

صابر الحباشة. (٢٠٠٨). التداولية والحجاج (مدخل ونصوص) (المجلد الاولى). سوريا – دمشق: صفحات للدراسات والنشر.

طه عبدالرحمن. (١٩٩٨). اللسان والميزان أو التكوثر العقلي. الدار البيضاء – المغرب: المركز الثقافي العربي.

عبد الله صولة. (٢٠١١). في نظرية الحجاج (دراسات وتطبيقات). تونس: مسكلياني للنشر.

عبد الهادي بن ظافر الشهري. (٢٠٠٤). استراتيجيات الخطاب، مقاربة لغوية تداولية. بيروت: دار الكتاب الجديد المتحدة.

فريق البحث في البلاغة والحجاج. (١٩٩٨). أهم نظريات الحجاج في التقاليد الغربية من أرسطو إلى اليوم. (إشراف : حمادي صعود، المحرر) تونس: كلية الآداب – جامعة منوبة.

قدامة بن جعفر أبو الفرج ابن قدامة. (١٩٦٣). نقد الشعر (المجلد الطبعة الثانية). (تحقيق. كمال مصطفى، المحرر) مصر: مكتبة الخانجي.

محمد الولي. (٢٠٠٥). الاستعارة في محطات يونانية وعربية وغربية . الرباط – المغرب: دار الأمان.

معتصم بابكر مصطفى. (٢٠٠٣). من أساليب الإقناع في القرآن الكريم. الدوحة – قطر: وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية في الدوحة .

هوامش البحث

• ابن قلاقس : ((هو أبو الفتوح نصـــر الله بن عبد الله بن مخلوف بن علي بن عبد القوي ابن قلاقس اللخمي الأزهري الأســكندري ، الملقب بالقاضي الأعز، ولد بالاسكندرية يوم الاربعاء ، رابع شهر ربيع الآخر سنة اثنتين وثلاثين وخمسمائة من الهجرة وتوفي في ثالث شوال سنة سبع وستين وخمسمائة من الهجرة. (ابن خلكان، ١٩٧٨ ، صفحة ٢ / ١٥٦) (ياقوت الحموي، ١٩٩٣ ، صفحة ٢٢٦)